بشرى الكئيب بلقاء الحبيب

للإمام جلال الدين السيوطي

تحقيق وتعليق

مجدي السيد ابراهيم

مكتبة القرآن

للطبع والنشر والتوزيع

٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق

القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١

جميع الحقوق محفوظة
لمكتبة القرآن

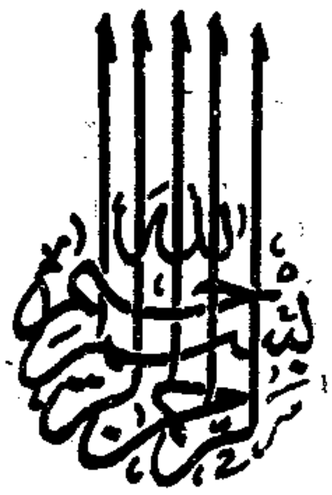

تقديـم

إن الحمد لله ..
نحمده ونستعينه ونستغفره ...
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ..
من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادىَ له ..
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ .

﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ .

ثم أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

إن الله عز وجل خلق آدم وذريته من الأرض ، فأمشاهم على ظهرها ، فأكلوا من ثمارها ، وشربوا من أنهارها ، ثم

لا محالة تنزل المنية بهم ، ثم يعيدهم إلى الأرض التى منها خلقهم ، وذلك حتى تأكل لحومهم ، كما أكلوا اثمارها ، وتشرب من دمائهم كما شربوا من أنهارها ، وتقطع أوصالهم كما مشوا على ظهرها ، فالقبر أول منزل من منازل الآخرة ، وآخر منزل من منازل الدنيا .

فطوبى لمن مهد فى دنياه لقبره ، وقدم منها لآخرته .

ومتى أيقن العبد المؤمن بالموت ، وعلم أنه نازل به لا محالة فلا بد له من الاستعداد له بالأعمال الصالحة ، وبالاجتناب عن الأعمال الخبيثة فإنه لا يدرى متى ينزل به ، وقد بيّن النبى ﷺ شدة الموت ومرارته نصيحة منه لأمته لكى يستعدوا له ، ويصبروا على شدائد الدنيا ، لأن شدائد الدنيا أيسر من شدة الموت ، وهذا لأن شدة الموت من عذاب الآخرة ، وعذاب الآخرة أشد وأبقى من عذاب الدنيا .

فإن العاقل فى هذه الدنيا من تركها قبل أن تتركه ، وبنى لنفسه قبراً قبل أن يسلكه ، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه .

فالموت هو الحقيقة الكبرى فى هذه الدنيا ، والموعظة العظمى ، والدليل الصادق البين على قدرة الله ، والبرهان الناطق على انفراده تعالى بالوحدانية المطلقة ، وأنه تعالى هو المحيى المميت ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شىء عليم ، لا يقف أمام جبروته ملك مهما كانت سطوته ، ولا سلطان مهما كان بأسه وقدرته .

فالعاقل العاقل ، والمؤمن الكيس من دان نفسه فى هذه الدنيا ، وتزود لما بعد الموت بزاد من التقوى ، وكتب لنفسه وصيته ، قبل أن يأتيه الموت بسطوته .

أما العبد الشقى من تمنى على الله الأمانى الغرور ، وخدعته الدنيا بقشور ، فالإنسان مهما طال عمره ، ومهما كثر ماله ، ومهما تعددت أولاده ، ومهما عظم جاهه ، سيعود إلى ربه الكريم وصدق الله العظيم ﴿ **يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه** ﴾ .

فلابد لك يا عبد الله أن تعمل على مهل ، وأن تكون من الله على وجل ، ولا تغتر بالأمل ، ونسيان الأجل ، ولا تركن إلى الدنيا فإنها غدارة خداعة وصدق الإمام على حين قال :

يا عباد الله الموتَ الموتَ ليس منه فوات ، إن أقمتم له أخذكم ، وإن فررتم منه أدرككم ، الموت معقود بنواصيكم ، فالنجاةَ النجاةَ فإن وراءكم طالباً حثيثاً وهو القبر ، ألا وإن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران ، ألا وإنه يتكلم فى كل يوم ثلاث مرات فيقول : أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الدود ، ألا وإن وراء ذلك اليوم يوماً أشد ، من ذلك اليوم ، يوماً يشيب فيه الصغير ، ويسكر فيه الكبير ، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ، ألا وإن وراء ذلك اليوم ناراً حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وحليها حديد ، وماؤها صديد ، ليس لله فيها رحمة .

وانطلاقاً من هذا المبدأ ، ألا وهو العظة بالموت وأسراره ، والقبر وأهواله .

ألف الإمام السيوطى ــ رحمه الله ــ ذلك الكتاب « بشرى الكئيب بلقاء الحبيب » وكان الإمام مسبوقاً فى هذا

الأمر بطائفة من علماء السلف فمن هؤلاء :

١ ــ الإمام ابن أبى الدنيا فى كتابيه « القبور » و « ذكر الموت » .

٢ ــ الإمام القرطبى : فى كتابه الطيب « التذكرة » .

٣ ــ الإمام الغزالى فى تحفته « إحياء علوم الدين » .

٤ ــ الحافظ ابن رجب فى « أهوال القبور » .

٥ ــ الحافظ المنذرى « فى الترغيب والترهيب » .

وفى كل عصر ، ومصر ، يظهر من علماء المسلمين من يؤلف فى هذا الخطب الجليل والأمر العظيم ، وما ذاك إلا لنتعظ ونعتبر ونعمل لما هو آت بعد العمل .

فاللهم يسر لنا العمل للقائك ، وأعنا على الاستعداد لما بعد الموت .

التعريف بالإمام السيوطى

مولده ونشـــأته :

هو عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين الحضيرى السيوطى من الأئمة الحفاظ ، ومن المؤرخين ، ومن الأدباء .

ولد فى أول شهر رجب سنة ٨٤٩ هـ وعاش يتيماً ، وحفظ القرآن صغيراً لا يتجاوز الثمانى سنوات .

جلس للتدريس وهو ابن سبعة عشر عاماً ، وأفتى وهو ابن سبعة وعشرين عاماً . ولزم كبار العلماء ، وأخذ عنهم .

رحل كثيراً فى طلب العلم وتدريسه ، وقد قال عن نفسه :

« رزقت التبحر فى سبعة علوم : التفسير والدين والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع »[1] .

مؤلفاتـــه :

مؤلفات الإمام السيوطى حصلت فى عصره وحتى اليوم على إقبال كبير وعظيم عند العالم الإسلامى ، ولا نكاد نجد أى بلد من العالم ، عربية كانت أو أجنبيه تخلو من العديد من مؤلفاته .

(١) حسن المحاضرة ٤٣٢ .

وقد ألف الإمام ـــ رحمه الله ـــ رسالة عدّ فيها مؤلفاته ، وضعها قبل وفاته بسبع سنين أوصل فيها عدد مؤلفاته إلى ٥٣٨ مؤلفاً .

وقد قال تلميذه الداودى : عاينت الشيخ وقد كتب فى يوم واحد ثلاث كراريس تأليفاً وتحريراً .

وفاتـــه :

توفى ـــ رحمه الله تعالى ـــ فى سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة ٩١٠ هـ فى منزله بروضة المقياس بعد مرض دام سبعة أيام ، وكان يوماً مشهوداً صلى عليه المسلمون فى كل مكان صلاة الغائب .

مراجع ترجمة الإمام السيوطى المفصلة

شذرات الذهب : ابن العماد الحنبلى (١١٩/١) (١٦٨/٣) (٥١/٨) .

الضوء اللامع : السخاوى (٥/١) (٩/٢) (٦٥/٤) .

حسن المحاضرة : السيوطى (٢١٥/١) (٢٩٦/٢) (١٨٨/١) (٢٢٩/١) .

الأعلام : للزركلى (٣٠١/٣) طبعة ١٩٨١ .

فهرس الفهارس : الكتانى (٣٥١/١) .

الوافى بالوفيات : الصفدى (٢٢٦/١٧) .

كشف الظنون : حاجى خليفة (٨/١) .

هدية العارفين (٥٣٤/١) .

الكواكب السائرة : الغزى (٢٢٦/١) .

خلاصة الأثر : المحبى (٢/١ــ٤ــ٣٣) (٣٤٥/٣) (٤٣٣/٣) .

بروكلمان Brogii, 156, SII, 218 .

التعريف بالكتاب

ألف الإمام السيوطى ــ رحمه الله ــ كتابه الكبير المسمى « شرح الصدور بشرح حال الموتى فى القبور » ثم قام بتلخيص ذلك الكتاب فى رسالته « بشرى الكَئيب بلقاء الحبيب » وعلى عادة علماء الحديث قد جاء كتاب الإمام السيوطى ــ رحمه الله ــ مشحوناً بكم هائل من الأحاديث النبوية ، وحشد عظيم من الآثار السلفية عن الصحابة والتابعين ، والعلماء الصالحين .

وقد قسم الكتاب إلى أبواب الأول فى ذكر فضل الموت ، والأخير فى رضاع أطفال المؤمنين .

وقد قمت بتخريج ما فى الكتاب من أحاديث ، وآثار ، وآيات قرآنية . مستعيناً بحول الله تبارك وتعالى كالتالى :

منهج التحقيق

أولاً : قمت بمراجعة أصل « بشرى الكئيب » على الكتاب الكبير « شرح الصدور » وقد استفدت من ذلك فى تصحيح الكثير من الأخطاء ، وإكمال بعض السقط ، وقد نبهت على ذلك فى موضعه .

ثانياً : قمت بتخريج الأحاديث فى مظانها من كتب الحديث .

ثالثاً : تخريج الآيات القرآنية ، مع تشكيلها تشكيلاً كاملاً .

رابعاً : إرجاع أقوال الصحابة والتابعين إلى أماكنها من كتب التراجم .

خامساً : قمت بوضع تخريج السيوطى فى الهامش تيسيراً على القارىء مع الاستفادة من توثيق ذلك من كتاب « شرح الصدور » .

سادساً : قمت بترقيم الأحاديث المرفوعة ، والآثار الموقوفة فى كل باب على حدة ، كما فعل الحافظ المنذرى فى « الترغيب والترهيب » وقد تم هذا العمل على نسخة قديمة نشرها الحلبى فى سنة ١٩٦٩ م بالإضافة إلى نسخة أخرى مطبوعة فى المدينة المنورة على هامش « شرح الصدور » مطبوعة ١٩٨٣ م نقلاً عن نسخة قديمة لم يذكر مصدرها .

مجدى السيد

القاهرة فى ذى القعدة سنة ١٤٠٦ هـ

يوليو ١٩٨٦ م

مقدمة المؤلف

قال الإمام السيوطى رحمه الله :

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى ، هذا كتاب سميته :

« بشرى الكئيب بلقاء الحبيب »

لخصته من كتابى الكبير[٢] الذى ألفته فى أحوال البرزخ فصيرته على البشرى بما يلقاه المؤمن عند موته وفى قبره من التكريم والترحيب ، وبالله التوفيق .

---

(٢) يقصد ـــ رحمه الله ـــ كتابه المسمى « شرح الصدور » وقد طبع طبعات كثيرة منها طبعة دار صادر والحلبى ومن أفضلها طبعة المدنى بمصر .

ذكر فضل الموت وأنه خير من الحياة

١ ــ عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « **تحفة المؤمن الموت** »(٣) .

٢ ــ وعن الحسين بن على : أن رسول الله ﷺ قال : « **الموت ريحانة المؤمن** »(٤) .

٣ ــ وعن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : قال رسول الله ﷺ : « **الموت غنيمة المؤمن** »(٥) .

٤ ــ وعن محمود بن لبيد : أن النبى ﷺ قال : « **يكره ابن آدم الموت ، والموت خير له من الفتنة** »(٦) .

٥ ــ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال : « **الدنيا سجن المؤمن وسنته ، فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة** »(٧) .

---

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير ، ورجاله ثقات قاله الهيثمى (٢/٣٢٠) ، ورواه ابن المبارك فى الزهد ٢/٢١٢ ، وفى الترغيب والترهيب ٤/٦٢٦ وقال : رواه الطبرانى بإسناد جيد .

(٤) أخرجه السيوطى فى جمع الجوامع ١/٤٤٩ وقال الديلمى عن السيد الحسين .

(٥) فى جمع الجوامع من حديث طويل ١/٤٤٩ وقال رواه البيهقى فى شعب الإيمان وضعفه والديلمى فى مسند الفردوس ــ عن عائشة .

(٦) قال السيوطى فى « شرح الصدور » أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده ، وسعيد ابن منصور فى سننه بسند صحيح .

(٧) المستدرك للحاكم ٤/٣١٥ كتاب الرقاق ، وأخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن جنادة وهو ثقة ، قاله الهيثمى ١٠/٢٨٩ من مجمع الزوائد ، وفى فيض القدير ٣/٥٤٦ ، وأورده السيوطى فى الصغير برقم ٤٢٧٥ ورمز له بالصحة . والسنة هى الجدب .

٦ ــ وعن عبد الله بن عمرو قال :

« الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن ، وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان فى سجن فأخرج منه ، فجعل يتقلب فى الأرض ويتفسح فيها »(٨) .

٧ ــ وعن عبد الله بن عمرو قال :

« الدنيا سجن المؤمن ، فإذا مات يخلى سربه يسرح حيث يشاء »(٩) .

٨ ــ وعن ابن مسعود قال :

« الموت تحفة لكل مسلم »(١٠) .

٩ ــ وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

« الموت كفارة لكل مسلم »(١١) .

١٠ ــ وعن الربيع بن خثيم قال :

« ما من غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت »(١٢) .

---

(٨) الزهد لابن المبارك ٢/٢١١ .

(٩) ابن أبى شيبة فى المصنف ١٣/٣٥٥ ، وأورده الهيثمى فى المجمع ١٠/٢٨٩ عن ابن عمر مرفوعاً .

(١٠) ابن أبى شيبة فى المصنف ، والطبرانى .

(١١) الحديث فى الصغير للسيوطى برقم ٩٢٤٦ ، ورمز له بالصحة وقال : أخرجه أبو نعيم فى الحلية ، البيهقى فى الشعب عن أنس . قال المناوى : قال ابن العربى حديث صحيح ، وقال الحافظ العراقى فى أماليه : ورد من طرق يبلغ بها درجة الحسن ، وزعم الصنعانى كابن الجوزى وابن طاهر وغيرهم بوضعه ، وقال ابن حجر ممنوع ــ أى الحكم ــ بوضعه مع وجود هذه الطرق . انظر اللآلىء المصنوعة ٢/٢٢١ كتاب الموت والقبور .

(١٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية من طريق وكيع عن سفيان ٢/١١٤ ، وأخرجه أحمد فى الزهد (٣٨٣) ، وابن المبارك فى الزهد ٢/٩٢ .

١١ ــ وعن مالك بن مغول قال :

« بلغنى أن أول سرور يدخل على المؤمن الموت ، لما يرى من كرامة الله تعالى وثوابه »(١٣) .

١٢ ــ وعن ابن مسعود قال :

« ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله »(١٤) .

١٣ ــ وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال :

« ما من مؤمن إلا والموت خير له ، وما من كافر إلا والموت خير(١٥) له فمن لم يصدقنى فإن الله تعالى يقول : ﴿ **وَمَاعِندَ اللهِ خَيْرٌ للأَبْرَارِ** ﴾(١٦) ويقول : ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ** ﴾(١٧) الآية .

١٤ ــ وعن ابن مسعود قال :

ما من برّ ولا فاجر إلا والموت خير له من الحياة إن كان براً ، فقد قال الله تعالى : ﴿**وَمَا عِندَ اللهِ خَيرُ لِلأَبرَارِ**﴾ وإن كان فاجراً ،(١٨) فقد قال الله تعالى : ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ ، إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾ .

١٥ ــ وعن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « **اللهم حبب الموت إلى من يعلم أنى رسولك** »(١٩) .

(١٣) قال السيوطى أخرجه ابن أبى الدنيا . شرح الصدور (١٦) .

(١٤) قال السيوطى أخرجه أحمد فى الزهد ، وابن أبى الدنيا . شرح الصدور (١٦) .

(١٥) قال السيوطى أخرجه سعيد بن منصور فى سننه ، وابن جرير فى تفسيره .

(١٦) سورة آل عمران : ١٩٨ .

(١٧) سورة آل عمران : ١٧٨ .

(١٨) قال السيوطى أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ٣٠٣/١٣ ، وعبد الرزاق فى تفسيره ، والحاكم فى المستدرك ، والمروزى فى الجنائز . شرح الصدور (١٥) .

وأورده السيوطى فى الدر المنثور ١٤٠/٢ من طريق ابن أبى شيبة وغيره .

(١٩) قال السيوطى : أخرجه الطبرانى .

١٦ ــ وعن أنس أن النبى ﷺ قال له :

« **إن حفظت وصيتى فلا يكون شىء أحب إليك من الموت** »(٢٠) .

١٧ ــ وعن أبى الدرداء قال « ما أهدى إلى أخ هدية أحب إلىّ من السلام ، ولا بلغنى عنه خبر أحب من موته »(٢١) .

١٨ ــ وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال :

« أتمنى لحبيبى أن يعجل موته »(٢٢) .

١٩ ــ وعن محمد بن عبد العزيز التيمى قال : قيل لعبد الأعلى التيمى : « ما تشتهى لنفسك ولمن تحب من أهلك ؟ قال : الموت »(٢٣) .

٢٠ ــ وعن ابن عبيد الله أنه قال لمكحول : أتحب الجنة ؟ قال : ومن لا يحب الجنة ، قال : « فأحب الموت فإنك لن ترى الجنة حتى تموت »(٢٤) .

٢١ ــ وعن حبان بن الأسود قال :

« الموت خير يوصل الحبيب إلى الحبيب »(٢٥) .

٢٢ ــ عن مسروق قال : « ما من شىء خير للمؤمن من لحد ، فمن لحد فقد استراح من هموم الدنيا وآمن من عذاب الله »(٢٦) .

---

(٢٠) قال السيوطى : أخرجه الأصبهانى فى الترغيب .

(٢١) الزهد للإمام أحمد (١٤٠) ، وقال السيوطى أخرجه ابن أبى الدنيا ولم يذكر الموضع . شرح الصدور (١٥) .

(٢٢) المصنف لابن أبى شيبة ٣٨٣/١٣ .

(٢٣) ذكر السيوطى أن ابن أبى الدنيا خرجه فى أحد كتبه .

(٢٤) أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة ابن عبيد الله .

(٢٥) المصدر السابق ترجمة حبان بن الأسود .

(٢٦) المصنف لابن أبى شيبة .